دحض أباطيل القاديانية

في النبوة والوحي

أ. د/ عبد العزيز شرف النصر

الأستاذ بقسم العقيدة والفلسفة

يجتاح العالم الإسلامى حركات مناهضة كثيرة ، بعضها سياسى وبعضها إجتماعى يلبس ثوب الدين ، وهى جميعها تهدف إلى تشويه الإسلام وتدمير المسلمين والقضاء على العالم الإسلامى . ومن هذه الحركات القديانية ولها كتابها الذين يصدرون العديد من الكتب وينشئون الجمعيات التبشيرية، ولها مراكزها العـــديدة فى كثير من البلاد الإفريقية والآسيوية والأمريكية والأوربية ، وكل مركز يصدر الدوريات والمجلات التى تروج لآراء القديانية . ومن هذه المراكز ذلك المركز الموجود بلندن فى بريطانيا ويصدر مجلة « عرض الأديان » The Review of Religions وقد وقع فى يدى عدد من هذه المجلة وهو عدد أغسطس سنة ١٩٨٥ م . وهذه المجـــلة شهرية تصدر بلندن عن الحركة الأحمدية « القديانية » The Ahmadiyya Movement وهى تصدر باللغة الإنجليزية .

وفى صدر المجلة نجد أنها مجلة شهرية مخصصه لنشر تعاليم الإسلام ، ومناقشة الشئون الإسلامية والدينية على وجه العموم . كما تزعم أنها وسيلة الحركة الأحمدية التى تقدم الإسلام النقى والصحيح ، وأنها مفتوحة لمناقشة جميع المعضلات التى تتعلق بالأديان والنمو الروحى للانسان . والمجلة تصدر صفحتها الأولى بهذه العبارة « فاعلم أنه لا إله إلا الله محمد رسول الله » ثم تعرف بالحركة الأحمدية « القديانية » فى سطور قليلة فتقول : « أسست الحركة الأحمدية فى عام ١٨٨٩ بواسطة الميرزا غلام أحمد المصلح المتوقع للعالم، والمسيح الموعود The Promised Messiah . والحركة الأحمدية هى التجسيم الصحيح والحقيقى للاسلام . وهى تنشد توطيد السلام فى جميع أنحاء العالم ، وإلى ربط الإنسانية بخالقها . والرئيس الحالى للحركة هو حضرة الميرزا طاهر أحمد . والحركة الأحمدية لها مراكزها فى « ربوة » بباكستان ، وهى — بحد بالغ — مشغولة بالعمل التبشيرى » .

هذا ما نقرأه فى صدر هذه المجلة ، وهى تحاول التمويه والظهور أولا

بمظهر إسلامى حتى توقع فى شراكها العديد من الذين يفتنون بالمظاهر الخلابة والشعارات البراقة . وهذا العدد من هذه المجلة يحوى العديد من المقالات التى يهدف أصحابها إلى خدمة أغراض هـذه الحركة ، وهى فى جملتها تقصد الإنسلاخ عن المجتمع الإسلامى ، وإنشاء دين جـــديد له عقائده وطقوسه وطائفته .

وفى آخر صفحة من هذا العدد لهذه المجلة The Review Religions نجد نبذة عن نشاطها متى بدأ وكيف استمر ، فهى كما يقول المحرر : « أقدم مجلة من نوعها نشرت باللغة الإنجليزية فى باكستان بشبه جزيرة الهند . ونشر أول إصدار منها فى عام ١٩٠٢ م واستمرت فى النشر منذ ذلك الوقت . وكانت البادرة الأولى تحت الرعاية المباشرة لحضرة الميرزا غلام أحمد القديانى المسيح الموعود . وخلال الثانى والثلاثين عاما نقلت رسالة الإسلام — عن طريق هذه المجلة — إلى مئات القراء . كما أن عديداً من الأشخاص تعرفوا على الإسلام وقبلوه من خلال دراستهم لها .

والمقالات المنشورة بهذه المجلـــة لا تتعامل فقط مع عقائد وتعاليم الإسلام ، ولكن تعرض أيضا تقديرات مقارنة لعقائد الآخرين . وأحد ملامحها البارزة هو دحض النقد الموجه إلى التعاليم الإسلامية عن طريق المستشرقين والعلماء غير المسلمين . كما أنها تقدم الحلول على ضوء التعاليم الإسلامية لتلك المعضلات التى يواجهها العالم الإسلامى من وقت لآخر .

إن دراسة هذه المجلة أمر ضرورى لتقدير قيمة الحركة الأحمديه ، وتعاليم مؤسسها الكريم » .

تعليـق :

والكلمات السابقة تفضح أهداف هذه الحركة إذ تبين أنها تنشىء ديانة ديانة خاصة بها، وهي وان تسمت باسم الإسلام فإنما ذلك للتغرير والتضليل. وقبل أن أتعامل مع ما جاء فى هذا العدد من مقالات تتعارض مع العقائد الإسلامية المنصوص عليها فى القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحه ، فإننى أرى أنه يجب على أن أعطى نبذة قصيرة عن مؤسس هذه الحركة وأهدافها .

إن هذه الحركة « الأحمدية » تنتسب إلى الميرزا غلام أحمد القديانى ، الذى نشأ فى قاديان ، التى أصبحت جزءاً من باكستان بعد تقسيم الهند . وكان عميلا للاستعمار البريطانى فى الهند ، ومن ثم حاول بكل جهده أن يجعل المسلمين يخضعون للحكم الاستعمارى البريطانى ، الذى يتناقض فى كل شىء مع عقائد المسلمين وأخلاقهم ومصالحهم . ورأى الميرزا غلام أحمد أن خير وسيلة للوصول إلى هذا الهدف أن يدخل على المسلمين من جهة الدين حتى يستطيع قيادتهم ويطمئن على خضوعهم له هو وأسياده الإنجليز . ومتسلحا بالمبدأ الميكافللى « كلما كان الكذب أعظم ، كلما كان التصديق أكثر إحتمالا » ، فقد ادعى أنه هو المسيح الموعود The Promised Messiah والنبى الجديد لهذه الأمـة ، الذى جاء يخلصها من أزمتها ، وينتشلها من وهدتها ويرفع من شأنها . وكانت الدعامة الأساسية لهذا البناء الزائف عنده هى نظرية الوعد بالقدوم الثانى للنبى عيسى عليه السلام ، وهى عقيدة — عند المسلمين — جاءت فى أقوال موثقة عن النبى محمد صلى الله عليه وسلم .

وتلقف الميرزا غلام أحمد هذه العقيدة وأخذ فى تفسيرها على هواه ، وحسب مصلحته الشخصية . وقرر أن هذه العقيدة لا تشير إلى ظهور

إعجازى Miraculous وإنما إلى ظهور شخص يولد فى حالة طبيعية عادية، ويحمل نفس الشبـــه — بحسب بعض المقاييس التى وضعها — لشكل وتكوين النبى السابق عيسى عليه السلام . ولكى يبرهن غلام أحمد على صحة ما ذهب إليه فقد رأى أنه من الضرورى أن يثبت أن عيسى عليه السلام مات موتا طبيعيا . وكانت براهينه عبارة عن سلسلة من الظنون التى لا رابط يجمعها ، بل يشملها التناقض . كما لجأ إلى طريق التأويلات الفاسدة لآيات القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول محمد ﷺ .

وقد أنفق الميرزا غلام أحمد القديانى الكثير من جهده . كما سخر ذكاءه لبيان كيفية عودة المسيح عليه السلام ، وأن ذلك ينطبق عليه . ومع ذلك فقد فشل فشلا ذريعا فى إثبات أدنى شبه له بعيسى عليه السلام ، ولا حق فى أى نوع من خصائصه ومميزاته .

وقد ادعى الميرزا غلام أحمد القديانى أنه يوحى إليه ، وأنه مكلم ومحدث ، وأن جبريل عليه السلام يتنزل عليه بآيات من الله تعالى كما كان يتنزل على محمد ﷺ بآيات القرآن الكريم .

وقد اختلف أتباعه حول هذه المسألة فزعمت طائفـــة تسمى نفسها القديانية أنه نبى ورسول حقيق ، وإن كان فى ظل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته . وزعمت طائفة أخرى تسمى نفسها الأحمدية (وهم القائمون على هذه المجلة) أنه ليس نبيا ولا رسولا ، وإنما هو مجدد لتعاليم الإسلام ، وهو المسيح الموعود الذى جاء لرفع شأن الإسلام والمسلمين، بعد ذلك الإنحدار والإنحطاط الذى وقع فيه المسلمون .

ولو نظرنا إلى دعوى الميرزا غلام أحمد القديانى أنه يوحى إليه ، وسلمنا أن ذلك صحيح على حسب الإصطلاح الصوفى ، أى أنه يتلقى أفكارا إلهية عن طريق الملائكة ، فإن ذلك الوحى Revelation الذى

يدعيه لا يمكن مقارنته بحال من الأحوال — برسالة الهية أرسها الله تعالى إلى أحد من أنبيائه ، لا فى الأسلوب ولا فى المحتوى ، بل ان ما يسميه غلام أحمد وحيا منزلا عليه من الله تعالى ، إنما يمثل فقرا فى اللغة وضحاله فى الفكر ينفر منه كل ذى ذوق لغوى أو عقل سليم .

وإذا نظرنا فى تعاليم الميرزا غلام أحمد القديانى ، فإننا نجد أن حاصلها ليس أكثر من أنها ترديد للتفسيرات العقلية والمادية للآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، كما جاءت بها مدرسة أحمد خان الهندى ، تلك المدرسة التى تفهم معجزات الأنبياء على أنها حوادث طبيعية ، والملائكة على أنها قوى للطبيعة ، والجن على أنهم قبائل أجنبية ، وهكذا فى كل التفسيرات التى تضاد الحرفية فى النصوص الدينية

والعجب كل العجب أنه بعد أن لاقت دعوة الميرزا غلام أحمد القديانى الفشل الذريع فى كل الأوساط العلمية الأسلامية ، أن نجد له بعض الأتباع الذين يحاولون نشر مثل هذه الآراء الضالة ولكن العجب سرعان ما يتلاشى حين نعلم أن وراء هذه الدعوة (الحركة) الضالة دوائر أجنبية استعمارية وصهيونية ، وأن هؤلاء الأتباع من طبيعتهم الخنوع والخضوع لفكر وحضارة الغرب ، وانهم فى خيانتهم لكل ما هو إسلامى يقدمون التزلف السياسى للمغتصب الأجنبى Foreign usurper وذلك بإبطال فريضة الجهاد ، كما دعى إلى ذلك مؤسس حركتهم ، كما أنهم يشوهون الإيمان الحقيق فى عقول المفتونين بهم حتى يوجدوا الفرقه بين المسلمين .

إن هذه الطائفة مهما تسمت بأسماء مثل القديانية أو الميرازية أو الأحمدية فإن أفرادها جميعا أتباع ذلك الدعى الكذاب الميرزا غلام أحمد القديانى ، الذى تلقى تعضيد الحكومة البريطانية (وكانت تستعمر بلاد الهند) التى كانت تسعى إلى بث الفرقة والشقاق بين الشعوب التى استعمرتها وخاصة بين المسلمين .

وقد وقف علماء الهند من المسلمين ضد تعاليم الميرزا غلام أحمد القديانى ، وأبانوا زيفها ، وهنا أصدر غلام أحمد فتوى بأن جميع الذين لم يعترفوا به نبيا كفار ، وبناء على هذه الفتوى فقد قرر علماء الهند من المسلمين أن أتباع غلام أحمد — مهما تسموا بأسماء — منفصلون عن الأمة الإسلامية ، وخاصة أنهم لا يحتفظون بأية علاقات اجتماعية أو دينية مع الأمة الإسلامية ، وقد فضح علماء المسلمين — فى شبه القارة الهندية — شرور وأباطيل عقائد الميرزا غلام أحمد ، وناظروا القديانية وأحبطوا آراءهم ، ومع ذلك لم يترك القديانية آراءهم وعقائدهم الفاسدة ، ولذلك أعلن علماء الإسلام — فى شبه القارة الهندية وفى غيرها من البلاد الإسلامية أن القديانية (الأحمدية) مرتدون Renegades عن الإسلام وكفار .

لقد أقام أتباع غلام أحمد (القديانيه — الأحمدية) تنظيمات تبشيرية Missionary organization فى أسيا وافريقيا وأوربا وأميريكا وفى كل مكان ، ولكى يخدعوا الناس وصفوا أنفسهم بأنهم مسلحون ، وأنهم يحولون الناس إلى الإسلام ، وهذا كذب إذ أن من يقومون بتحويله فليس إلى الإسلام ، وإنما إلى الكفر .

ولكشف وفضح اعتقادات هذه الفرقة الضالة وانقاذ الناس من الوقوع فى براثنها . فإنه يجب أن يتصدى علماء المسلمين فى كل مكان لبيان العقائد الإسلامية الصحيحة كما جاءت فى المصادر الموثقة من القرآن الكريم ، والسنة النبوية الصحيحة ، وما أجمعت عليه الأمة الإسلامية ، وخاصه عقيدة ختم النبوة بمحمد ﷺ ، أى عدم استمرار النبوة وانقطاع الوحى بعد موت محمد ﷺ .

إن عقيدة ختم النبوة هى إحدى العقائد الإسلامية الأساسية ، والأمة

الإسلامية منذ القرن الأول الهجرى إلى اليوم وهى تومن بأن الله تعالى قد أكمل الدين وأتم النعمة ، وأنه لن يظهر نبى صادق بعد محمد ﷺ إلى أن تقوم الساعة ، سواء أكان هذا النبي يأتى بشريعة جديدة ، أو فى ظل شريعة محمد ﷺ .

وأما نزول عيسى عليه السلام ، فليس على أنه نبى جديد ، وإنما على أساس من نبوته السابقة ، ويكون مقررا ومتابعا لشريعة محمد ﷺ .

وان دعوى غلام أحمد وأتباعه باستمرار الوحى والنبوة — فى المسلمين — فى ظل شريعة محمد ﷺ ، لتجديد أمر الدين ، واعلاء شأن الأمة الإسلامية ، دعوى باطلة ، لأن الدين ما دام قد كمل وتمت نعمة الله على الناس بالإسلام ، وقد حفظ الله تعالى الإسلام بحفظ مصدره الأساسى وهو القرآن الكريم والسنة الصحيحة ، فليس الناس فى حاجة إلى نبوة ولا إلى وحى جديد . وإنما المسلمون فى حاجة ماسة إلى نهوض علمائهم بعبء الدعوة إلى الإسلام بين شعوب العالم ، وشرح معانى نصوص القرآن الكريم والسنة الصحيحة ، واستنباط الأحكام التى تلائم أحوال المسلمين المتجددة ودراسة أسباب التخلف عند المسلمين والعمل على علاجها .

وبعد فقد احتوى هذا العدد من المجلة عدة مقالات وسأقوم إن شاء الله بترجمة المقالات التى أجد فيها ما يتعارض مع العقائد الإسلامية ، ثم أعقب على ما جاء فى المقال ببيان بطلان كل فقرة على حدة .

رحلات عيسى إلى الهند

« رحلات عيسى إلى الهند » بقلم عزيز أحمد

يقول كاتب المقال :

« ان عيسى — عليه السلام — نجا من الموت على الصليب ، وذهب إلى مكان ما يختبىء فيه خوفا من أعدائه ، ونحن نقرأ فى موضوع الصلب عن طريق شاهد عيان Eyewitness أنه فى وقت رحيله عن تلاميذه كان عيسى — عليه السلام — حزينا ، وإن روحه تأثرت تأثرا كبيرا ، وامتلأ قلبه بالحزن ، لأنه عرف أن هذه كانت خطواته الأخيرة فى بيت المقدس Jerusalem وأنه فى الوقت المحدد لصلبه نال عيسى — عليه السلام — كل المساعدة من بعض مريديه وتلاميذه السريين المتخفين فى إخوان إسين The Essene Brotherhood ومن المحتمل أنه عاش مع هذه الجماعة على شاطىء البحر الميت ، وبعد فترة صمم على أن يترك وطنه « فلسطين » ويهاجر إلى أفغانستا وشمال الهند ، بحثا عن القبائل المفقودة من بنى إسرائيل The lost tribes of Israel التى استقرت فى تلك المناطق ، وقد نوى عيسى — عليه السلام — أن يدعو تلك الخراف الضالة The lost sheep ، ويرجعهم إلى حظيرته ، لأنه يئس من يهود فلسطين » .

ويؤكد كاتب المقال على « أن الله الرحمن الرحيم قد أرشد عيسى — عليه السلام — ، كما أن عيسى نال المعاونة من أصدقائه طوال هذه الرحلة الشاقة ، ومن المحتمل أنه كان فى صحبة عيسى — عليه السلام — أمه مريم والقديس توماس » .

ويقرر كاتب المقال أن ابن جرير الطبرى كتب فى كتابه الشهير تفسير ابن جرير الطبر يقول : « إن عيسى — عليه السلام — كان يشبه النبى محمدا ﷺ ، وأنه نتيجة للاضطهاد اليهودى له اضطر هو وأمه مريم إلى الهجرة من فلسطين إلى بلد بعيد ، ومن ثم أخذ ينتقل من قطر الى قطر » .

ثم قال صاحب المقال : « إن عيسى ذهب إلى الجليل أولا ، لأنها تقع على طريق القوافل إلى سوريا ، وبعد ذلك اتجه إلى الشرق عبر الهلال الخصيب ، وأنه من الخير لنا أن نتذكر طبقاً لما جاء فى إنجيل يوحنا أن عيسى ظهر لتلاميذه للمرة الثالثة عند بحيرية طبريه فى الجليل وأن من المحتمى أن يكون قد زار دمشق حيث سار عبر سوريا كلها » ، « وأنه من المحتمل أن تكون تلك الجماعة الصغيرة من المؤمنين — وفى ضمنهم الحنانيون — قد اهتدوا عن طريق عيسى نفسه ، والمعروف أن القديس بولس قد اهتدى وهو فى الطريق إلى دمشق بسبب رؤيا ، كما هو مقرر فى أعمال الرسل (من العهد الجديد) ، وبالنسبة للروايات الناقصة التى يعطيها لنا العهد الجديد ، فمن المحتمل أن عيسى قابله (أى القديس بولس) شخصياً حين كان مقيما فى دمشق ، وأنه لأمر ذو مغزى خطير أنه بعيداً عن دمشق بحوالى ميلين فقط يوجد مكان يسمى مقام عيسى ، الذى يعنى المكان الذى أقام فيه عيسى » .

ثم يقول كاتب المقال : « إننا نسمع عن عيسى — عليه السلام — فى « ناصبين » وهو مكان بين الموصل (العراق) وسوريا ، وناصبين تقع على طريق القوافل من سوريا إلى فارس على طول مملكة العراق Mesopotamia بين النهرين ، وقد قرر وصول عيسى — عليه السلام — إلى ناصبين فى عمل تاريخى فارسى مشهور يعرف بروضة الصفا ، ومؤلفه هو (مير بن محمد خواند) وقد كتب فى عام ٨٣٦ هـ ١٤١٧ م وطبع أخيراً فى بومباى عام ١٢٧١ هـ ١٨٥٢ ، وقد قرر المؤلف فى هذا الكتاب أن عيسى ومريم — عليهما السلام — تركا بيت المقدس ورحلا إلى سوريا » .

ويقرر كاتب المقال « أن ترجمة مختصرة لصفحات قليلة من هذا الكتاب تلقى إلينا ببعض المعجزات غير المعقولة والمعزوة إلى عيسى » ، ثم يعطينا الكاتب ترجمة لبعض فقرات من الكتاب فيقول : « إن عيسى —

عليه السلام — سمى بالمسيح Messiah لأنه كان رحالة كبيراً ، وكان يلبس كوفية صوفية على رأسه ، ويضع عباءة صوفية على بدنه ، وكان يحمل عصاً فى يده واعتاد أن يتجول وينتقل من بلد إلى بلد ومن مدينة إلى مدينة ، وعندما يرخى الليل سدوله فإنه كان يقيم حيث هو ، وقد أكل الخضروات الجافة وشرب المياه غير النقية ، واستمر فى رحلته سائراً على قدميه ، وقد اشترى له بعض رفقائه فرساً ، وركب الفرس ليوم واحد فقط ، ولأنه لم يستطع أن يدبر مؤونة لإطعام هذا الفرس فقد أعاده إلى أصحابه ، وبعد سفر وانتقال من بلد إلى بلد وصل إلى « ناصبين » التى تبعد مئات الأميال عن وطنه ، وكان معه عدد قليل من التلاميذ الذين أرسلهم إلى المدينة للتبشير ، وبسبب أنه كانت توجد شائعات خاطئة عن عيسى وأمه فقد قبض الحاكم على التلاميذ ، وبعد ذلك أحضر عيسى أمامه ، لكن عيسى — عليه السلام — استطاع بإعجاز أن يبرىء بعض الأشخاص ، وأن يعرض بعض المعجزات ، ولذلك أصبح ملك مقاطعة « ناصبين » ومعه كل جيشه أتباعا لعيسى — عليه السلام — وحكاية نزول المائدة الموجودة فى القرآن الكريم تختص بأيام رحلاته تلك » (روضة الصفا ص ١٣٠ — ١٣٥) .

ثم يقول كاتب المقال : « وهكذا بوصول عيسى إلى (ناصبين) ، فقد عزم على أن يرحل إلى الشرق مخترقاً بلاد الفرس إلى أفغانستان حيث استقرت قبائل إسرائيلية هناك » .

تسمية عيسى بـ « يوسف آساف » :

ثم نجد كاتب المقال يحاول أن يعقد مقارنة بين اسم عيسى وبين بعض الأسماء التى يزعم أنه عثر عليها فى أفغانستان وبلاد الهند ويقول : « بعد أن ترك « ناصيبين » تبنى عيسى اسم شهرة وهو يوسف أساف «Yuz Asaf» لأنه كان معروفا بهذا الاسم فى الكتابات والأحاديث الشفهية للبلاد التى زارها فيما بعد ، والإسم العبرى لعيسى الذى هو أسم يونانى « Jesus » من المحتمل أنه جوشوا Joshua أو يشو Yeshu ومن هذه الأسماء أقتبس اسم يوسو Yusu الذى هو اسم عيسى « يسوع » « Jesus » فى عديد من اللغات الشرقية Oriental ويوس أو يوز Yus - Yuz مشتق من يوسو ، وهكذا فإن يوز يعنى عيسى ، وأســـاف كلمة عبرية Hebrew تعنى الجامع أو الحاشد ، وإذن فإن يوز أساف (عيسى) تعنى الجامع أو الحاشد .

وعيسى كان معروفا بـ « يوز أساف » فى التراث القـــديم لإيران وأفغانستان وفى كشمير فى الهند ، وترى فيزى Faizi الشاعر فى بلاط الملك أكبر إمبراطور الهند يخاطب عيسى قائلا : « آى كاى نامى تو » « Ai ki Nami to » أى : يامن أسمه يوز والمسيح ،

« Othou whose name is yuz wd christ »

« وأننا نسمع فيما بعد عن عيسى فى فارس حيث اجتاز مملكة العراق بين النهرين ، وطبقاً لتراث إيرانى قديم فقد أتى يوسف أساف إلى هذه البلاد من الغرب ، وعناك بشر بدينه ، وآمن به العديد من أهل تلك البلاد .

وأقوال يوسف أساف «Yuz Asaf» المسجلة فى التراث الإيرانى مشابهة لتلك المأثورة عن عيسى (أغا مصطفاى أحوال إلهيانى باراس ص ٢١٩) .

آثار عيسى فى أفغانستان :

يقول الكاتب: «ومن فارس سافر عيسى إلى أفغانستان ، مع احتمال أنه مر بـ «حيرات» التى تقع قريباً من الحدود الغربية لأفغانستان ، ولأن قبائل إسرائيل المفقودة (الأفغان) استقرت هناك ، ومن المحتمل أنه أقام هناك لأعوام كثيرة ، وأنه وجه الدعوة إلى تلك القبائل».

«وتعقبا لآثار عيسى فى أفغانستان فقد وجدنا أنه عند غازنى Ghazni بغرب أفغانستان ، وعند جلال أباد فى الجنوب الشرقى لأفغانستان توجد منصتان تحملان اسم «يوسف أساف» لأنه أقام وبشر هناك ، وقد عين أحد ملوك أفغانستان متعهداً لهذه المزارات (المكان المقدس) عند جلال أباد، وقرر أيضاً عطية لحفظها وصيانتها» .

«ويوجد اكتشاف آخر حديث يؤكد ماذكرناه سابقاً من رحيل عيسى إلى أفغانستان وأقامته بها فترة ، وكان ذلك على يد مستر بيرك O. M. Burke الذى سافر إلى بلاد إسلامية عديدة فى آسيا وإفريقيا ، وعاش بين الصوفية Mysties حوالى أربعة أعوام ، وكتب عن تجاربه فى كتـابه بين الدراوويش Darvishes سنة ١٩٧٥م ، وأثناء سفره فى أفغانستان توصل إلى أنه توجد فرقة خاصة تسمى أتباع عيسى يقيمون قريباً من «حيرات» وقد كتب بيرك :

« أتباع عيسى ابن مريم يسمون أنفسهم — على وجه العموم — مسلمين ، ويسكنون عدداً من القرى المتفرقة فى المنطقة الغربية لأفغانستان ، ومركزهم «حيرات» ، لقد سمعت عنهم مرات عديدة ، وقلت : من المحتمل أنهم أناس اهتدوا عن طريق المبشرين الأوربيين من شرق آسيا ، أو أنهم من آثار تلك الأزمنة حين كان « بحيرات » أسقفية مزدهرة للمذهب النسطورى « Nestorian » قبل أن يفتح العرب فارس فى القرنين

السابع والثامن ، ولكن من تقدير أحوالهم وما استطعت ملاحظته، فإنه يبدو لى أنهم أتوا من مصدر قديم .

ولقد اكتشفتهم من خلال أحد نواب «ميرجازاراج» من نسل محمد وذريته ، وجازاراج هى المزار المقدس حيث دفن عبد الله الأنصارى ، وهو صوفى وقديس محلى، دفن فى مقبرة رائعة ، وكان يزار سابقا بواسطة أباطرة الهند والمرموقين من الناس .

ويوجد حوالى ألف من هؤلاء المسيحيين، ورئيسهم هو أبو يحيى الذى يستطيع أن يسرد العدد المتتابع من المعلمين خلال ما يقرب من ستين جيلا إلى عيسى ابن مريم النزارى الكاشميرى ، واعتماداً على هؤلاء الناس فإن عيسى نجا من الصلب «وخبأه أصدقاؤه الذين ساعدوه على الهرب إلى الهند، حيث كان هناك من قبل أثناء شبابه ، واستقر فى كشمير حيث لقى احتراماً كمعلم قديم «يوسف أساف» ، وإلى هذه الفترة من حياة عيسى يدعى هؤلاء الناس أنهم حصلوا على رسالتهم .

وكانت لى مناقشات عديدة مع أبى يحيى، وهو مثل جميع المسيحيين يقول بأن معلمهم اشترط على أتباعه أن يكون عندهم فراغ من الدنيا ، وهو يقرر أن عيسى — عند هذه الجماعة — كان نجاراً وراعياً للغنم أيضا : وكانت عنده القدرة على فعل المعجزات وأنه مات حقا من أجل شعبه، وهذا الموت ليس هو الموت المزعوم ، وإنما كان موتا طبيعيا .

وأحاديث المسيح (الممسوح أو المدهون) تكون الكتاب المقدس لهذه الجماعة ، فهم لا يؤمنون بالعهد الجديد The New testament أو بعبارة أخرى إنهم يقولون إن هذه الأحاديث هى العهد الجديد ، وأن الأناجيل التى معنا هى — نوعاما — صادقة ، ولكنها على وجه العموم كتبت عن طريق أناس لم يفهموا تعاليم السيد المسيح .

وأبو يحيى — وهو شخص له مهابة بوجه قديس — كان رجلا لوذعيا، عرف كتبه المقدسة ، بالإضافة إلى مقدار كبير من الكتابات اليهودية ، وسمع عن الضالين — كما سمى الفرق المسيحية المعروفة لنا — ولم يقبل أى فرقة منهم .

وقد قال بلكنته الفارسية الرقيقة : يابنى هؤلاء الناس يقرءون ويعيدون جزءاً من القصة ، انهم جميعا أساؤوا فهم الرسالة . ونحن عندنا القصة التى أخبرنا بها عن طريق السيد المسيح نفسه ، وعن طريقه ستكون نجاتنا وتكون أصحاء معافين .

إن بعض الحوادث فى تلك الوثيقة التى تسمونها الكتاب المقدس The Bible صادقة ، ولكن يوجد مقدار كبير ملفق أو متخيل أو موضوع فيه (أى الكتاب المقدس) . إن عيسى عاش أكثر من ثلاثين عاما بعد أن أكمل رسالته (مهمته) ، وقد أخبرنا بما هو حق . وباختصار فإن عقيدتنا هى : أن عيسى ابن الله ، وقد حصل على تلك المرتبة عن طريق صلاحه وتضحياته ، وهكذا أصبح شخصا إلهيا مقدسا . لقد أتى عيسى بعد يوحنا المعمدان «John the Baptist» الذى كان قد وصل أيضا إلى الدرجة العالية من التقدم الروحى الممكن فى ذلك الوقت . وقد عمد يوحنا بالماء ، وعمد عيسى بالروح والنار . وكانت هذه هى المراحل الثلاث للفهم ، التى درست عن طريق مسيحيونا .

فى البداية كان يوجد لدى مقدار كبير من الخلط وعدم الفهم ، لأنى كنت أتحدث عن الأسرار المقدسة Sacraments ونجاتى ، بينما أخذنى هو — لفترة ما — حتى أدرك أن أناس أبى يحيى قصدوا المعمودية والروح القدس وملكوت الله ، وهى المراحل الثلاث فى نظام التنوير الإنسانى . وهذا الذى يدعونه هو وظيفة الكنيسة فى حفظ وإدارة هذه الاصطلاحات الثلاث من أجل العابدين .

ويوجد عند هذه الفرقة وجبة طقسية « Ritual Meal » مثل العشاء الأخير ، ولكن هذه الوجبة تنفذ مرة واحدة فى الأسبوع . يؤخذ الخبز والنبيذ (الخمر) . ولكن كرمز للغذاء الخشن والرقيق اللذين هما تجارب الوصول إلى القرب من الله .

ومع أنه يمكن أن يعد هؤلاء الناس ضلالا ومنحرفين ، وأتباعا لشخص آخر تجسد فى شخص عيسى ، فقد تأثرت بتقواهم وشعورهم باليقين وبساطتهم وقلة الشكليات السكريهة التى يجدها الواحد فى طقوس الأقليات .

إنهم مقتنعون أيضا بأنه سيأتى ذلك اليوم الذى يكتشف فيه العالم الحقيقة عن عيسى . وحين يحدث هذا فإن مهمة هؤلاء الأتباع أن يظهروا علانية ، ويعلنوا أولئك الذين يريدون أن يؤمنوا بعيسى أى أن يعلموهم الطرق التى يستطيع بها الرجل أو المرأة الدخول فى ملكوت الله » (بين الدراويش ص ١٠٧ — ١٠٩) .

ثم يقول كاتب المقال : « إن هذا اكتشاف هام عن فرقة فى غرب أفغانستان معروفة بأتباع عيسى . إنهم لا يشاركون فى العقائد المسيحية التقليدية وطبقا لعقائدهم فإن عيسى حين نجا من الموت على الصليب خبأه تلاميذه وساعدوه لكى يهاجر إلى الهند حيث استقر فى كشمير وعرف بـ « يوسف أساف » وقائد هذه الفرقة « أبو يحيى » يمكنه أن يحصى — على التوالى — المعلمين من خلال ستين جيلا إلى عيسى ابن مريم أو الناصرى الذى استقر فى كشمير بالهند . وهذا مهم جدا ، إذ أنه يؤكد مقالتنا عن عيسى ونحن فى حاجة أكبر للبحث عن هذه الفرقة فى غرب أفغانستان وعن كتبها المقدسة » .

عيسى فى الهنـــد

ويقول الكاتب عن انتقال عيسى — عليه السلام — إلى الهند « سار عيسى خلال سفره إلى الهند من أفغانستان عبر ممر خيبر الأسطورى — وهو البوابة إلى الهند — وسافر بطول الحدود الشمالية الشرقية ، حتى أتى إلى مقاطعة البنجاب (وهذه الأقاليم الآن فى باكستان) . وفى الفصل الماضى ناقشنا وجود توماس وعيسى فى تاكسيلا تحت رعاية الملك « جندفيرز » ملك الهند الشمالية الغربية وحكم من عام ٢١م إلى عام ٢٥ . ومن نقش قديم استعيد من تاكسيلا — وهو محفوظ الآن فى متحف لاهور — يمكن الاستنتاج بأن الملك « جندفيرز » بدأ حكمه فى عام ٢٠ م . وبناء على ماقاله سير فينسنت اسميث (مؤرخ للهند القديمة) فإن « جندفيرز » مات عام ٦٠م . ومن هنا نستطيع أن نستنتج أن عيسى وتوماس كانا فى تاكسيلا قبل عام ٥٠ م أو ٦٠ م .

وقد قدم « نظير أحمد » عرضا مفيداً . إذ يوجد تمثال لمجموعة ، وهو محفوظ فى تاكسيلا . إنه نبش من موقع يوليانسى (نسبة إلى يوليوس قيصر) من دير فى تاكسيلا سنة ١٩١٣م . فى هذا التمثال نجد أن الشخص المركزى برأس مفقودة ، ويعتقد علماء الآثار أنه لبوذا ، ويوجد بجانبه على اليمين شكل لإنسان عليه عباءة مثل رداء ، وحذاء له شكل غريب ، ويلبس على رأسه قبعة صوفية أو من جلد الغنم ، خدوده عريضة ، وله لحية منسقة ، وله أيضا شارب ، وملامح الوجه لشكل يهودى .

ويصف سير جون مارشال (المدير العام لقسم الآثار فى الهند) هذا الشكل فى التمثال فيقول (الثوب والرأس ذو اللحية إنما هو لشكل غريب ، وفى هذا برهان واضح على أن ذلك لأجنبى) . ويعتقد نظير أحمد أن هذا التمثال الذى لأجنبى بجانب بوذا ، ربما يكون لعيسى أو توماس وإذا كان

علينا أن نقبل الوصف كما جاء فى أعمال توماس فإن كل واحد منهم يشبه الآخر . والدير الذى نبش منه هذا التمثال يرجع تاريخه إلى بداية القرن الثانى الميلادى . والشىء الجدير بالملاحظة عن هذا التمثال الذى هو لأجنبى هو التشابه الواضح بينه وبين عيسى كما جاء فى الفن الغربى التقليدى ، وهذا له مدلول واضح والفرض الذى يقدم نفسه هو أن نحته بجانب بوذا قد يكون لإحياء ذكراه ، وتكريم زيارة عيسى لتاكسيلا — فى الشمال الغربى الهندى — » .

ثم يقول كاتب المقال : « وحضرة الميرزا غلام أحمد المؤسس الكريم للحركة الأحمدية فى الإسلام كان أيضا رائداً من رواد هذا الرأى القائل بأن عيسى نجا من الموت على الصليب ، وهاجر إلى بلاد الهند واستقر فى كشمير فقد كتب : «باختصار أتى عيسى إلى البنجاب عبر أفغانستان لهدف نهائى وهو الذهاب إلى كشمير بعد رؤية البنجاب وهندوستان » ويجب أن يلاحظ أن «تشيترال» وشريطا من البنجاب يفصلان كشمير عن أفغانستان وإذا سافر أحد من أفغانستان عبر البنجاب فإن عليه أن يسير مسافة أكثر من ٨٠ ميلا أو حوالى ١٣٥ كيلامتراً . ويتعقل وترو اتخذ عيسى الطريق من أفغانستان كى تستفيد منه القبائل المفقودة من بنى إسرائيل والمعروفون بالأفغان . والحدود الشرقية لكشمير تلامس طيبة . ومن كشمير استطاع بسهولة أن يذهب إلى طيبة . وبمجيئه إلى البنجاب لم يجد صعوبة فى التجول عبر الأماكن الهامة لهندوستان قبل الذهاب إلى كشمير أو طيبة .

ومن المحتمل — كما تظهر بعض السجلات التاريخية لهذه البلاد — أن يكون عيسى قد رأى نيبال وبينارس وأماكن أخرى ، وبعد ذلك ذهب إلى كشمير عن طريق « جامو » أو « روالبندى » .

ولأنه كان ينتمى إلى بلد بارد فمن المؤكد أنه أقام فى تلك المقاطعات

أثناء فصل الشتاء فقط ، وأنه بنهاية مارس وبداية ابريل تحرك إلى كشمير ، ولأن كشمير تشبه « شم » (سوريا والبلاد المحيطة بها) فقد أقام اقامة دائمة فى هذا البلد ، وبالإضافة إلى هذا فمن المحتمل أنه أقام لفترة ما فى أفغانستان ، وليس من المستحيل أن يكون قد تزوج فى ذلك البلد ، ومن الملاحظ أننا نجد احدى قبائل الأفغان معروفة باسم « عيسى خل » « Isa khel » ، ولن يكون مستغربا إذا كانوا من ذرية عيسى » (عيسى فى الهند ص ٧٨ — ٧٩) .

اقامة عيسى فى كشمير

ثم يتحدث كاتب المقال عن اقامة عيسى — عليه السلام — واستقراره فى كشمير فيقول : « إن نظير أحمد على الرأى القائل بأن عيسى دخل إلى كشمير عبر واد سمى بعده بـ « يسو مارغ » ، وهذا الوادى يقع على الطريق التجارى القديم من « كاغان » و « أفغانستان » ، وتسكنه قبيلة «اليادو» وهى من نسل القبائل العشر الإسرائيلية ، ومن يتتبع هذا الطريق إلى الشرق فإنه يأتى إلى مكان يقال له : « عيش مقام » ، (حوالى ٤٧ ميلا من سرينجار) ويعتقد أن كلمة عيش مشتقة من عيسى ، و « عيش مقام » يعنى المكان الذى (حط) فيه عيسى .

ومن المفيد أن نعلم أنه — فى المعبد الذى فى هذا المكان — يحتفظ بعكاز خشبى يعتقد كثير من الناس أنه يخص عيسى ، وبما أن كشمير كان يسكنها قبائل إسرائيل المفقودة فقد استقر عيسى هناك ، ومن المحتمل أنه عاش أغلب حياته فى « استرينا جار » لأن مقبرته وجدت هناك .

وكذلك بشر أهل كشمير الذين كانوا خراف بيت إسرائيل الضالة ، ومن ثم عرفوه وكرموه ، كما يشير إلى ذلك تراث كشمير .

ومن المحتمل أيضا أن كثيرا من الإسرائيليين كانوا قد قبلوا البوذية ، وأن بعضا منهم قد انحط إلى الوثنية ، ولذلك أعادهم جميعا إلى حظيرته ، وكان معروفا فى كشمير باسم « يوسف أساف » .

ثم يقول كاتب المقال :

إننا فى تتبعنا لتاريخ عيسى فى كشمير فإنه يجب علينا أن نلتفت إلى كتاب شرقى وهو « إكمال الدين » ومؤلفه هو الشيخ السيد الصادق عاش فى القرنين الثالث والرابع للهجرة ، ومات فى خراسان سنة ٣٨١هـ ٩٦٢م ، كان عالما ومؤلفا لكتب عديدة ، وسافر إلى بلاد عديدة ليجمع المادة لكتابه هذا :

وقد عد (اعتبر) هذا الكتاب « اكمال الدين » ذا قيمة كبيرة عند المستشرقين ، طبع أولا عن طريق « أجامير باجار » فى ايران سنة ١٢٠١هـ ١٧٨٢ م وترجمه إلى الألمانية الأستاذ « مولر » بجامعة « هيد لبيرج » ، وفى هذا الكتاب نقرأ عن « يوسف أساف » ما يلى :

١ — « حين سمع يوسف أساف رسالة الملاك ، فقد خر ساجدا لله وقال : أنا أخضع نفسى لأمرك ، يا إلهى القوى إملأ نفسى نورا بإرادتك ، أمجدك وأنا شاكر لك لهدايتى » .

٢ — « ولذلك فقد أرشده الملاك إلى أن يترك البلد ... وبعد أن ترك « شولابث شرع فى رحلته » .

٣ — « واستمر فى رحلته حتى وصل إلى واد واسع كبير ، فرفع رأسه ورأى شجرة بجانب عين ماء ، كانت الشجرة جميلة المنظر وبها فروع كثيرة وفواكه حلوة ، وما لا يحصى من الطيور التى كانت جالسة فوقها ، وكان مبتهجا بهذا المنظر ، وتحرك حتى وصل إلى الشجرة ، وبدا

فى تفسير ما رآه ، فإن الشجرة التى اعتاد أن يدعو الناس أمامها بالبشرى ، وعين الماء بالعلم ، والطيور بالناس الذين جلسوا حوله وقبلوا الدين الذى بشر به » .

٤ — « وبعد التجوال فى عديد من المدن فقد وصل « يوسف أساف » إلى تلك البلدة التى تسمى كشمير ، لقد ساح فيها طولا وعرضا وأقام هناك ، وقضى بقية حياته ، حتى أدركه الموت ، وترك جسده الأرضى ورفع نحو النور ، ولكن قبل موته أرسل إلى تلميذ له يسمى « باباد » ، وكان هذا التلميذ قد اعتاد على أن يخدمه ، كما كان ضليعا فى جميع الأمور ، وعبر « يوسف أساف » عن رغبته الأخيرة لتلميذه قائلا : لقد أتى وقت رحيلى عن هذا العالم ، أد واجباتك على الوجه الأكمل ، ولا تلتفت إلى الخلف بعيدا عن الحق ، وأد صلواتك بانتظام ، وبعد ذلك وجه « باباد » ليعد له مقبرة فى نفس المكان الذى مات فيه ، ثم مد رجليه تجاه الغرب ، وحول رأسه تجاه الشرق ومات ، بارك الله » .

ثم يقول كاتب المقال : ويمكننا أن نعطى بعض الفقرات من نفس الكتاب فيما يتعلق بأقوال وتعاليم « يوسف أساف » .

١ — « أيها الناس انتبهوا لكلماتى ، إنها من الحق والحكمة ، وستساعدكم على التفرقة بين الصواب والخطأ ، هذا هو دين الأنبياء فى سالف العصر ، ومن ينبذه فلن يدخل الفردوس ، لا تطلبوا ملكوت هذا العالم ، ولكن ملكوت السماء ، الملكوت الأرضى والسعادة الأرضية إلى نهاية وهؤلاء الذين يطلبونها سيهلكون ، إن وقت الموت قريب جدا ، وإن الطيور لا سيطرة لها على أعدائها .

ولذلك فأنتم لا تملكون شيئا بدون الإيمان والأعمال ، وطالما يوجد نور فسافروا فى طلبه ، احتفظوا بأعمالكم الطيبة سرا عن الناس حتى

لا تكون للعرض فقط ، عاملوا الآخرين كما تحبون أن تعاملوا ، أهجروا الرغبات الدنيوية ، أتركوا النميمة والغضب والغيبة ، ويجب أن تكون عقولكم وأعمالكم نقية طاهرة » .

٢ — « حين يذهب زارع ليزرع وتسقط بعض البذور على جانب الطريق وتلتقط الطيور البذور ، وتسقط بعض البذور على الأرض القاحلة ، وحين تصل إلى أساس صخرى فإنها تذبل ، وبعض البذور تسقط بين الأشواك ولا تنمو ، ولكن البذور التى تسقط على أرض طيبة فإنها تنمو وتفتح فاكهة .

ويقصد بالزارع العاقل ، وبالبذور الحكمة ، وبالبذور التى تلتقطها الطيور هؤلاء الناس الذين لا يفهمون ، وبالبذور على أرض صخرية كلمات الحكمة تدخل فى أذن وتخرج من الأخرى ، وبالبذور التى تسقط بين الأشواك أولئك الذين يسمعون ويفهمون ولا ينصرفون بناء على ما سمعوه وفهموه ، والحبوب الأخرى التى تسقط على أرض طيبة أولئك الذين يسمعون كلمات الحكمة ويطيعون » .

ويقرر كاتب المقال أنه يوجد كتاب آخر يعالج نفس الموضوع فيقول : « وعين الحياة كتاب آخر يتعامل مع « يوسف أساف » .

وفى فصل منه بذكر رحلات مختلفة لـ « يوسف أساف » كما يعطى تعاليمه ، ومؤلف هذا الكتاب يعزو لـ « يوسف أساف » أكثر من خمسة عشر مثالا وفى ضمنها مثال الزارع ، كما أن وصف موته فى مدينة كشمير مشابه لذلك الذى فى (إكمال الدين) .

ويجب أن يكون واضحا أن يوسف أساف ، الذى كان يبشر بالأمثال فى كشمير هو عيسى كما بينا ذلك من قبل » .

ويستشهد كاتب المقال على دعواه هذه بسير فرانسيس ينج هازبند الذى كان وكيلا سياسيا إنجليزيا فى كشمير لأعوام عديدة وقد كتب : « هناك فى كشمير من ١٩٠٠ عام مضت أقام قديس عرف باسم « يوسف أساف » وبشر بالأمثال ، واستخدم نفس الأمثال التى كان المسيح يستخدمها ، وعلى سبيل المثال مثال الزارع . ومقبرته فى « استريناجار » . وإذن فـ « يوسف أساف » و « عيسى » شخص واحد

ثم يقول كاتب المقال : « إن أفضل برهان على هجرة عيسى إلى كشمير وإقامته هناك هو وجود مقبرته فى قطاع « خانيار » من « استريناجار » عاصمة كشمير .

كلمات النبى محمد

ثم يقول كاتب المقال : « وفى القسم الأخير من هذا الفصل فإننا نقتبس بعضا من كلمات النبى محمد — ﷺ — تلك الكلمات التى تتعامل مع حياة عيسى . وبالرغم من أن كلمات النبى محمد ليست لازمة لغير المسلمين فإنها ذات مغزى وهامة . لأنها تنبأت بالحق عن عيسى ، ذلك الحق الذى كشف عنه هذه الأيام :

١ — توجد عدة تقارير فى الأحاديث الموثقة أن النبى محمدا قال « إن عيسى مات عن ١٢٠ سنة » .

٢ — « وكنز العمال كتاب شامل فى الأحاديث . ويوجد به حديث رواه أبو هريرة أن الله أنزل على عيسى : يا عيسى انتقل من مكان إلى آخر ، أى اذهب من بلد إلى آخر كيلا يتعرف عليك وتقتل » (كنز العمال جـ ٢ ص ٣٤) .

٣ — « وفى نفس الكتاب يوجد حديث مروى عن جابر « لقد اعتاد

عيسى على السفر ، فكان يذهب من بلد إلى آخر ، وعند حلول الليل فإنه يمكث حيث كان ، يأكل من نبات الغابة ويشرب الماء النقى الطاهر ، (كنز العمال حـ٢ ص٧١) .

٤ — « وأعلن النبي محمد — ﷺ — أن أعظم الناس فضلا عند الله هم الفقراء . وسئل ماذا تعنى بالفقراء ؟ أجاب : إنهم الناس الذين يشبهون عيسى ، يفرون من بلد إلى بلد بإيمانهم » (كنز العمال حـ٢ ص٥١) .

تعقيب على ما جاء فى المقال

وبعد : فهذا هو المقال المعنون برحلات عيسى إلى الهند . قمت بترجمته كاملا كما هو مدون ودون تدخل منى فيما جاء فيه من آراء . وقد لاحظت أن المقال من أوله إلى آخره يهدف إلى أن يبث فى نفوس المسلمين أن عيسى عليه السلام مات موتاً طبيعيا ، ودفن فى كشمير بالهند . وأن الذى اكتشف قبره هو الميرزا غلام أحمد القديانى ، الذى ادعى أنه المسيح الموعود .

والمقال من أوله إلى آخره عبارة عن ظنون ، وخيالات ، وأوهام واستشهادات بكلمات المستشرقين والباحثين الأوربيين (وأغلبهم مرفوضون فى الأوساط العلمية الإسلامية) . وإن جاز أن يستشهد بهم نصرانى على عقيدة من العقائد النصرانية فهذا شأنه ولا كلام لنا معه إلا فى بيان بطلان تلك العقيدة . وأما أن يدعى إنسان أنه مسلم ويتحدث عن أمر يتعلق بعقيدة إسلامية ثم يذهب إلى ما يخالفها مستندا فى ذلك إلى كلام غير المسلمين المعروفين بعدائهم للإسلام ، فهو الأمر المرفوض وذلك الإنسان لا يمكن أن يكون مسلما . ومن الواضح أن أسلوب الكاتب فى هذا المقال غريب وبعيد عن أساليب وكتابات علماء المسلمين . والقارىء لهذا المقال يشعر بأنه يقرأ لكاتب نصرانى أو يهودى يحاول أن يلقى فى روعه أن الأفغان وسكان

الهند هم من القبائل الإسرائيلية المهاجرة . وكاتب المقال بهذه الصورة يفضح نفسه ويظهر عمالته لدوائر التبشير النصرانية والمنظمات الصهيونية العالمية .

وإذا أتينا إلى دراسة هذا المقال نقطة بعد أخرى فإننا نجد كاتب المقال يقول: « إننا نقرأ فى موضوع الصلب عن طريق شاهد عيان) وهو يحاول بهذا أن يوهم القارىء بصحة ما يقوله وأنه حقيق لأنه منقول عن شاهد عيان، دون أن يذكر مرجعا لذلك . والعقيدة الإسلامية فى موضوع الصلب أن الله تعالى نجى عيسى عليه السلام من الصلب ورفعه إليه ، وأن من صلب وقتل شخص آخر شبيه بعيسى عليه السلام قال تعالى : « وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذى اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا ، بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيما » .
(النساء ١٥٧ — ١٥٨)

ونرى كاتب المقال يأخذ فى الانتقال بعيسى عليه السلام من مكان إلى مكان ، حتى يذهب به هو وأمه مريم عليهما السلام والمدعى بالقديس توماس إلى الهند . ويزعم أنه يقتبس فقرة من تفسير الطبرى تؤكد هذا المعنى دون أن يذكر الجزء والصفحة لهذا الكتاب . وهو هنا يحاول إيهام القارىء المسلم بصحة دعواه إذ أنه يستند إلى مصادر مقبولة فى الأوساط الإسلامية .

كما يتلقف كاتب المقال أية إشارة أو رمز حتى يثبت صحة دعواه بانتقال عيسى عليه السلام من فلسطين قاصدا فى النهاية بلاد الهند، ويستدل على ذلك بأنه يوجد مكان قريب من دمشق يسمى « عيش مقام » أى المكان الذى حل فيه عيسى عليه السلام . ونحن نسأله بدورنا : لماذا لا يكون معناه مكان العيش من الإعاشة ؟

ويستدل كاتب المقال على دعواه بانتقال عيسى عليه السلام إلى الهند، بما جاء فى كتاب غريب لمؤلف غير معروف ويقول إن إسم الكتاب هو «روضة الصفا» وما هى القيمة العلمية لهذا الكتاب؟ وما هى درجة الصدق عند هذا المؤلف؟ وتظهر لنا نزعة الحركة الأحمدية (القاديانية) على لسان مؤلف هذا المقال من التشكيك فى المعجزات المادية للأنبياء حيث يتشكك فى معجزات عيسى عليه السلام؛ فيذكر أن كتاب «روضة الصفا» حكى عن عيسى بعض المعجزات غير المعقولة.

ويحاول كاتب المقال أن يوهم القارىء بدقته وذلك بتتبعه لتطور كلمة عيسى، ويعقد مقارنة بين إسم عيسى و «يوز أساف» الذى كان معروفا فى التراث القديم لإيران وأفغانستان والهند. ويخرج بهذه النتيجة وهى أن «يوسف أساف» هو عيسى عليه السلام، ويستشهد على ذلك بـ «أغا مصطفى أحوال الهيانى»، ولست أدرى القيمة العلمية له كما أن مجرد التشابه لا يمكن أن يثبت الحقائق أبداً.

ثم يستشهد كاتب المقال بما جاء فى كتاب لأحد الباحثين الأوربيين، وهو كتاب (بين الدراويش). وبعد أن يعرض ماجاء فى هذا الكتاب يخرج بالنتيجة التى يريدها وهى انتقال عيسى عليه السلام من فلسطين وموته موتا طبيعيا ودفنه فى كشمير، مع أن كل ماجاء فى هذا الكتاب عبارة عن استنتاجات افتراضية لا تقوم على حقائق تاريخية موثقة توثيقا علمياً صحيحاً.

كما نجد كاتب المقال يستدل على دعواه عن طريق النحت والنقوش الأثرية. ويزعم أنه قد اكتشف تمثال لمجموعة تمثل بوذا، وبجانبه إنسان له ملامح يهودية وربما يكون لعيسى أو توماس. ويذكر الكاتب عبارة عن استنتاج افتراضى خيالى لا يسنده أى شىء من الواقع. فضلا عن أن هذا القول من الكاتب يكشف عن نزعته الوثنية حين يربط عيسى — عليه

السلام — ببوذا، ومن محاولته جعل بلاد الهند أصلا للديانة النصرانية تارة، ومركزا لتجمعات القبائل الإسرائيلية تارة أخرى.

ويستدل كاتب المقال أيضا برأى الميرزا غلام أحمد القديانى مؤسس هذه الحركة، ويقرر أن غلام أحمد هو الذى اكتشف قبر عيسى فى كشمير. ولعلنا نلاحظ أن مزاعم الميرزا غلام أحمد فى اكتشافه لقبر عيسى عليه السلام — لم تأت من فراغ، بل كان يعتمد فى هذا على المستشرقين والمبشرين الأوربيين وسادته الإنجليز من أمثال «سير جون مارشال» المدير العام لقسم الآثار فى الهند.

وما يذكره الكاتب من إقامة عيسى — عليه السلام — فى أفغانستان، وأنه تزوج وكانت له ذرية، كل ذلك بحسب أقواله، ونص عباراته احتمالات، وإذن فهى ظنون وأوهام وخيالات.

وأما ما يذكره كاتب المقال من كتب يزعم أنها شرقية مثل كتاب: «إكمال الدين»، فإنه لم يبين لنا مدى قيمة هذا الكتاب فى الأوساط العلمية الإسلامية، صحيح أنه كما يقول ترجم إلى الألمانية، ويهتم به الباحثون الأوربيون، ولكن ماقيمته بالنسبة للمسلمين؟ وهل مؤلف هذا الكتاب مسلم أو نصرانى أو يهودى؟ كما أن عنوان الكتاب «إكمال الدين» فأى دين يقصد؟ ومن الذى يكمل الدين؟ هذا ما لم يبينه لنا كاتب المقال. وأن الكتاب بهذه الصورة لا يجوز الاستشهاد به من مسلم على أمر يتعلق بنبى من أنبياء الله.

ثم نجد كاتب المقال يستشهد بكتاب آخر غير معروف وهو كتاب «عين الحياة»، من مؤلف هذا الكتاب؟ أين طبع؟ وأين يوجد الآن؟ كل هذه الأسئلة لا نجد جواباً عنها. ويزعم كاتب المقال أن هذا الكتاب يتعامل مع القضية بنفس الطريقة التى جاءت فى كتاب «إكمال الدين» وهى

أن عيسى عليه السلام هو « يوسف آساف » على أساس من التشابه فى الوصايا والكلام بالأمثال . ونحن هنا نتساءل . هل مجرد التشابه بين شيئين كاف فى إثبات أن هذا الشيء هو عين ذاك الشيء ؟ والجواب بالنفى لأن الحقائق وخاصة التاريخية لا تثبت إلا بالأسانيد والمستندات الصحيحة الموثقة توثيقا جازما ، قائما على دراسة النصوص والأسانيد دراسة علمية صحيحة .

وأخيرا يحاول كاتب المقال التلبيس على المسلمين وخداعهم وإيهامهم أن دعواه صحيحة ، إذ يستند فى إثباتها على المصادر الإسلامية ومنها أحاديث الرسول محمد ﷺ ، فيذكر فى ذلك أحاديث مكذوبة على رسول الله ﷺ .

وبعد : فإن الهدف الأسامى من الكلام على انتقال عيسى — عليه السلام — إلى الهند وموته ودفنه فى كشمير ، وأن الميرزا غلام أحمد القديانى هو الذى اكتشف قبره ، إن الغرض من ذلك كله هو إثبات أن الميرزا غلام أحمد هو المسيح الموعود ، لأنه جاء على شكل عيسى وعلى قدمه فى روحانيته وأخلاقه . ودعوى الميرزا هذه دعوى كاذبة لم يستطيع أن يقيم عليها أى دليل ، وكل ما ذكره عبارة عن ترهات وأباطيل .

والمسيح الموعود بنص السنة النبوية الشريفة ، هو المسيح الإسرائيلى وينزل من السماء ، وليس يولد ولادة طبيعية من أب وأم (مثل الميرزا غلام أحمد القديانى) . وهو ينزل قريبا من قيام الساعة حيث تكثر علاماتها ، وهو ينزل حكما عدلا ، فيكسر الصليب — أى ينهى النصرانية — ويقتل الخنزير ويضع الجزية :

ومعنى هذا انتهاء اليهودية وجميع الأديان ما عدا الإسلام ، ويصبح الناس جميعا مسلمين .

وقد بين الله تعالى أن عيسى عليه السلام من علامات الساعة فقال « وأنه لعلم للساعة » (الزخرف : ٦١)

وقال تعالى : « إن من أهل الكتاب إلا ليؤمن به ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا » (النساء : ١٥٩)

وكل هذه الصفات لا تنطبق على الميرزا غلام أحمد القديانى الكذاب هو وأتباعه فى أدعاء أنه هو المسيح الموعود .

ا . د عبد العزيز سيف النصر عبد العزيز
الأستاذ بقسم العقيدة والفلسفة
كلية أصول الدين بالقاهرة
عام ١٤٠٩ هـ — ١٩٨٩ م